بسم الله الرحمن الرحيم

# تفريغ المجلس (٠١٢)

# "الباب الثاني في ذكر البربر

# لغة البربر وكتابتهم - المعتقد البربري - الباب الثالث (ذكر الفينيقيين -تمهيد-) "[١].

[٨ - لغة البربر وكتابتهم]

**البربر يسمون لغتهم " تماشغت " ولهم لهجات مختلفة، ففي ابن خلدون: إن زناتة منهم لها رطانة خاصة بها، ونرى اليوم فرقا بين لغة زواوه -إحدى بطون ضريسة[٢]- ولغة مصاب (مزاب) من زناتة وغيرهم.**

**أما أصلها فهو تابع لأصل الناطقين بها، ويقول بيروني: إنها غريبة مجهولة الأصل، كما أن البربري نفسه مجهول النسب[٣]، والصواب خلاف ما يقول فقد قدمنا ما عليه محققو المؤرخين من أن البربر**

---

[١] إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: لا يزال حديثنا مع هذا الكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث، لمؤلفه العلامة الشيخ مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونحن في الباب الثالث في ذكر البربر، وسبق أن ذكرنا كيف كان نظامهم، حياتهم الاجتماعية، سواء ما يتعلق بالمسكن، والملبس، والمطعم، والمكسب، ثم نظام المجتمع.

[٢] التي هي من البتر أو الأبتر.

[٣] وقلنا هذا غير صحيح.

جنس حامي، ووطنهم الثاني (ليبية) ساكنهم به طوائف من أمم مختلفة. وإذن فاللغة البربرية حامية الأصل مشوبة بعدة ألفاظ من الفينيقية وغيرها من لغات الأمم التي جاورتهم أو استولت عليهم[١].

والبربرية تخالف اللغات السامية[٢] في أنها يسوغ فيها الابتداء بالساكن واجتماع الساكنين فأكثر وتقديم المضاف إليه على المضاف. وتوجد فيها كلمات مركبة تركيبا مزجيا وليست أعلاما. وقد ينقلب فيها الفعل اسما والاسم فعلا. ولا كذلك اللغات السامية[٣].

يقول رين: إن اللغة العربية واللغة الفرنسية استعارتا ألفاظا من البربرية. وسرد تلك الألفاظ التي يدعى أصالتها في البربرية. وهو أن كان يريد ذلك في العصور الأخيرة فلا منازعة، وإن كان يدعي ذلك في القديم فلا أنازعه في ذلك بالنسبة إلى اللغة الفرنسية فقد يساعده التاريخ على ذلك لأن بربر نوميديا مكثوا مع حنبعل القرطاجني سنين بالغاليا[٤] وغيرها من جنوب أوروبا، واختلطوا بهم في جيش قرطاجنة أيضا واللغات إذ ذاك ضيقة تحتاج إلى النقل فلا يبعد أن يكون قدماء فرنسا أخذوا من البربرية.

أما العربية فبعيدة جدا عن البربرية، ولا يعلم في التاريخ وقوع اختلاط بين هاتين الأمتين إلا ما كان من غزو إفريقش لليبية، ولكن ذلك لا يؤيد دعوى رين لأن المغلوب هو الذي ينقل عن الغالب. على

---

[١] وبعضهم يقول إن هذه اللغة البربرية هي أصل تسميتها "تيفيناغ"

[٢] المقصود باللغات السامية أي القديمة، كالعربية القديمة.

[٣] يعني هنا المؤلف ينتهي ويرجّح أن اللغة البربرية لا علاقة لها باللغة السامية أي اللغة القديمة، أو اللغة العربية القديمة، وهذا مما قد لا يوافقه عليه غيره من المؤرخين، وذكر في ذلك شواهد، فالعربية لا يبتدأ فيها بساكن، والبربر في كلامهم يبتدئون بالساكن، العربية لا يجتمع فيها ساكنان، ولغة البربر يجتمع فيها الساكنان، العربية يقدم فيها المضاف على المضاف إليه، تقول: كتاب الفقه، أو كتاب فقهٍ، وعند البربر المضاف إليه يقدّم على المضاف، ويوجد أيضا عند البربر كلمات متكونة من جزأين مجتمعين، فيستعملونها من غير أن تكون أعلاما، وإنما في لغة العرب تُستعمل أعلاما، وكذلك عند البربر قد ينقلب الفعل اسما، والاسم فعلا، وهذا لا يوجد في العربية، نقول: إن هذه المواصفات، وإن كان وجودها ظاهرا، لكن لا يلزم بالضرورة أن لا يكون مرجع هذه اللغة إلى اللغة السامية، فيقال فيها إنها لهجة متفرعة، واللهجات يتسامح فيها، ويُتساهل فيها، بدليل ما سيأتي ذكره.

[٤] لعله بلغاريا.

أن علماء العربية تكلموا في الدخيل واعتنوا بتمييزه حتى خصه بعضهم بالتأليف، ولم يذكروا منه كلمة بربرية[1].

إن من الألفاظ التي ذكرها رين بربرية نقلت إلى العربية ما هو عربي حقيقة، فإن كان موجودا في البربرية فهو دخيل فيها بعكس دعواه[2] وتكون تلك الألفاظ موروثة عن قبيلتي كتامة وصنهاجة العربيتين[3].

كانت اللغة البربرية- كغيرها- ساذجة بسيطة ثم تطورت مع الزمان وتأثرت بما كان يجاورها من اللغات الراقية، وخصوصا الفينيقية[4]. وكان لها أدبها وبلاغتها وأُلفت بها التآليف العلمية قبل الإسلام وبعده.

وكان للبربر خط خاص بهم، وحروفه تمثل شيئا من أشياء الكون مثل الشمس والهلال والبرق، وتدل على معنى موافق إما لصفة ذلك الشيء مثل السرعة للبرق وإما لفائدته مثل الحرارة للشمس[5].

---

[1] يعني هذا المؤرخ رين يقول إن كلا من العربية والفرنسية، أخذوا كلمات من البربرية، لأن الواقع يترجم ذلك، في الواقع تجد كلمات متقاربة بين هذه اللغات، فما الذي يفسر ذلك؟ قالت إن العربية أخذت من البربرية والفرنسية كذلك، المؤلف قال: لا أوافقه في هذا، يمكن في اللغة الفرنسية في العصور المتأخرة، لأنهم جاوروهم وأكثروا مساكنتهم، واختلطوا بهم، فيحتمل أن يكون قد أخذوا عنهم خاصة أن اللغات في ذاك الوقت كانت ضيقة فتحتاج إلى النقل، فلا يبعد أن يكون اللسان الفرنسي قد أخذ من البربر، أما أن يكون العرب قد أخذوا من البربر فهذا يبعد جدا، قال لأن علماء العربية اعتنوا باللغة العربية، بل كتبوا في الدخيل، الدخيل على لغة العرب الذي ليس منها، وصار يستعمل فيها، هذا اعتنوا به وألفوا فيه وجمعوا، ولم يذكروا منه كلمة بربرية.

[2] يعني هناك ألفاظ حقيقة هي لغة عربية، فالمبارك الميلي يقول توجيه وتفسير ذلك أن هذه الألفاظ العربية دخلت على البربر، وليست من البربر ودخلت على العربية.

[3] وهما من البربر كما ذكرنا.

[4] سيأتينا في الباب الرابع في ذكر الفينيقيين، وهم من ولد كنعان عرب عاربة.

[5] يعني الحروف التي كانوا يتكلمون بها عبارة عن رموز مشابهة للأشياء.

**كان هذا الخط في القديم يتركب من عشرة حروف يسمونها "تيفيناغ " ومعنى هذه اللفظة الحروف المنزلة من عند الإله، لأنهم كانوا يعتقدون أنها ليست من وضع البشر، ويتركب من خمسة أشكال يسمونها " تد باكين " ومعناه: الدليل على العمل والتوسع، ويعتقدون أنها من وضع البشر[1].**

**حروف تيفيناغ هي التي تفيد المعاني، وحروف تيدباكين أما لضبط تلك الحروف أو توكيد معنى حرف منها.**

[1] قوله الحروف المنزلة من عند الإله أو كانوا يعتقدون أنها ليست من وضع البشر، يعني أصل اللغة، وهذه مسألة يشير إليها علماء الأصول، وهو أصل اللغة، هل هو توقيفي أو أنه وضعي، فعلماء الأصول يشيرون إلى هذه المسألة، وكذلك علماء اللغة في كتب القواميس والمعاجم قد يشيرون إلى ذلك، والذي توسع في المسألة المرتضى الزبيدي في كتابه تاج العروس، فإنه ذكر في مقدمة هذا الكتاب شرح فيه "القاموس المحيط" **للفيروزآبادي**، والقاموس بمعنى البحر، فهذا القاموس المحيط جمع فيه مؤلفه مادة اللغة العربية، وضمنه الكثير من المفردات، وشرحه المرتضى الزبيدي هذا الإمام العلامة اللغوي، ولما ختم شرحه كتابة، أقام وليمة كبيرة وقد حضرها كبار العلماء في ذاك الزمان، فذكر في هذا الكتاب "**تاج العروس**" مقدمة ضمنها مجموعة من الفصول والمباحث، وهي مهمة لطالب العلم أن يقرأها، ومن ذلك (**أصل اللغة**)، هل هو توقيفي أو أنه وضعي؟

أما كونه توقيفي يعني أن الله ﷻ هو علم الإنسان اللغة، وأما كونه وضعيا يعني أن الناس هم الذين فيما بينهم اصطلحوا على هذه اللغات التي يتفاهمون بها فيما بينهم، وأصل ذلك كما يقول العلماء قوله تعالى {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}البقرة٣١، وقد جاء في تفسير الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره أن المراد أن الله ﷻ علم آدم أسماء المسميات هذه جفنة، وقصعة، وصحفة، وملعقة، وخشبة، وهذا عمود، وهذا كذا، وهذا كذا، فهذا علمه الله ﷻ آدم عليه السلام.
وعليه فأصل هذه اللغة توقيفي يكون منزلا من عند الله عز وجل، الله هو الذي علم الناس الكلام، وآدم هو أول بشر على هذه الأرض لم يكن قبله من البشر أحد، أول من أنزل على هذه الأرض هو آدم عليه السلام وهذا مما يعلم ضرورة وهذا من المتواتر القطعي، وخلق الله حواء ثم ولد لهما، وولد بعد ذلك وصار يتزوج ذكر البطن الأول من ذكر البطن الثاني، ويتوارثون، ثم ساحوا في الأرض، ثم وقع انتشار وسكنى هذه الأرض، فأصل اللغة توقيفي، وقد يقع الوضع والاصطلاح فيما بين الناس بعد ذلك.

وكانت حروف الأمم قديما مثل الإغريق واللطين عشرة أيضا، وذلك أن الإنسان يخترع على قدر حاجته[1]، وفي بدء عهده بالحياة كانت دائرة أفكاره ضيقة[2]، والمعاني التي يعبر عنها قليلة. فكانت هذه الحروف - على قلتها- وافية بحاجته، وهذه صورة حروف تيفيناغ القديمة مفسرة بما يوافقها أو يقاربها من الحروف العربية[3]:

وهذه صورة حروف تيد باكين:

١. هذه الشكلة حركة. والأكثر أن تكون فتحة.

٢: هذه الشكلة واو مد غالبا.

٣.: هذه الشكلة تؤكد معنى حرف الجيم.

٤:: هذه الشكلة لا نظير لها في العربية.

---

[1] هذه إشارة إلى أن هذه الحروف من وضع البشر، والإنسان كما تقول القاعدة الاجتماعية والتاريخية والحياتية (الاختراع وليد الحاجة)، أو (الحاجة أم الاختراع)، فأنت لا تفكّر في شيء كما أنك تفكر فيه إذا احتجت إليه، يعني في بيتك وفي محفظتك، وفي سيارتك وفي مظلتك، وفي قلمك، وفي جوالك ...الخ قد لا تنتبه إلى أشياء، أو تمر عليك ولا تلتفت إليها، لكن إذا اضطررت وصرت في حاجة لزمك أن تجعل لها حلا، فإذن يكون ذلك الحل على قدر الحاجة، فأوجدوا من هذه الحروف ما يتخاطبون به مما يكفيهم.

[2] أي الإنسان، لسهولة الحياة ويسرها، وعدم كثرة مشاغلها وصنوفها، وقلة الارتباطات، وقلة الناس وغير ذلك.

[3] هذه مما وُجدت

٥:: هذه الشكلة حرف هجائي وحركة معا. ولا نظير لها في العربية وتوجد غير ما سبق حروف أحدث من تلك تختلف باختلاف القبائل معنى ومخرجا، ومن حروف تيفيناغ ما تصرفوا فيه من بعد، كما أن تلك الأشكال صيروها من بعد كحروف هجائية.

وترتيب الحروف الهجائية في الوضع مجهول لم يهتد إليه الباحثون من طريق النقل[١]، وإنما ظنوا أنها كانت ترتب حسب معانيها.

ويقول رين: المظنون أن اللاتينيين أخذوا حروفهم عن البربر لأنهم يسمون حروفهم الهجائية " المنتا " وحروف ل، م، ن،! هي الأولى في الحروف البربرية.

وليس للبربر في القديم نظام في الكتابة: يكتبون من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ومن أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى. ولما جاء العرب أثروا بنظامهم وصاروا يكتبون من اليمين إلى اليسار. وبطول المدة نسي المختلطون بهم الحروف البربرية وصاروا يكتبون لغتهم بحروف عربية. ولم تعش حروفهم إلا بين الملثمين في مجاهل الصحراء[٢] فانهم لم يزالوا يكتبون بها إلى هذا العهد[٣].

---

[١] يعني بالنسبة لهذه اللغة، وإنما ظنوا أنها كانت

[٢] مثل التوارق الآن.

[٣] فإذن ينتهي المؤلف إلى أن بطول العهد، صار البربر على أن لغتهم ليست عربية وكذا حروفهم باختلاطهم بالعرب، تناسوا تلك الحروف وصاروا يكتبون لغتهم بحروف عربية وعلى نسق العرب، أي من اليمين إلى اليسار.

بعض المؤلفين يرون أن البربر من العرب العاربة، وأنهم استقروا بالمغرب -كما ذكرنا- قبل الفتح الإسلامي، وأن حقيقة البربر هم يمتدون من سلطنة عمان شرقا على المحيط الهندي إلى موريتانيا على المحيط الأطلسي، ويرون أن لغتهم هي لغة سامية أي من لغة العرب القدامى، أو اللغة القديمة، وأنهم باختلاطهم مع الفينيقيين وهو الباب الذي سيأتي، والفينيقيون قد هاجروا إلى هذه الأرض في الهجرات السابقة قديما، وهم أقوام عربية من جزيرة العرب، فتواجد هؤلاء الفينيقيين مع البربر مما سهل أيضا تقوية هذه اللغة العربية في نفوس البربر، ولذلك كان ذلك مما سهل عليهم قبول ما جاء به العرب من لغة ومن إسلام كذلك، ويقول أيضا مما يقوي به ما رآه من كون لغة البربر ترجع إلى لغة العرب، استعمالات لكثير من الكلمات على طريقة لغة العرب، مثلا يقول يكثر عند العرب وزن (أَفَعُّول) قال وهذا وزن حميري عربي مثل (آغروم) ونحوها، يقول هذا الوزن اشتهرت به اللغة العربية بحمير اليمن، قال كذلك في اليمن أسماء مناطق وأماكن بنفس الكلمات التي يستعملها البربر، وألفاظ متقاربة كذلك، وكذلك حروف متقاربة، وأسماء لقبائل باليمن كذلك متقاربة.

قال ومما يدل على ذلك أيضا وجود صنم في ديانتهم يدعونه إلها يسمونه بعلعموم، قال و(بعل) كلمة عربية كما جاء في القرآن الكريم {أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ }الصافات١٢٥، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد من المفسرين **(البعل هو الصنم)** أو **(هو الإله أو الرب)** في لغة اليمن، لغة أزد شنوءة، فهذا ينتصر إلى هذا القول الذي ذكرت، والحقيقة أن ما سبق ذكره عن البربر، وكيف كان مجيئهم ونزولهم إلى هذه الأرض، وما يوجد في استعمالاتهم، لعله يؤيد القول الذي ذكره المؤلف الذي نقلتُ عنه، على خلاف ما انتصر إليه المؤلف، أضف إلى ذلك أن ما وقع بعد مجيئ الفينيقيين، إلى هذه الأرض فإن البربر كان لهم اتصال مع الفينيقيين اتصال توافق، لا اتصال عداء، ومحاربة، ذلك لما كان لهؤلاء الفينيقيين من أصل عربي، وكذلك لغتهم تقارب لغة البربر، فكان بينهم التوافق لا التخالف.

## [٩ - المعتقد البربري]

كان قدماء البربر يعتقدون وجود إله يسمونه "عمون " ولكن يرون انه ليس له وجود مستقل، وإنما هو روح تحل ببعض الكائنات مثل الشمس والقمر والرعد والبرق وغيرها.

لذلك كانوا يعبدون تلك المظاهر وهي ترجع إلى ثلاثة أصول:

١ - الكواكب: كانوا يعبدون منها الشمس والقمر، ويمثلون الشمس بقرني الثور، وقد يتخذون لقرصها تمثالا يضعونه على رأس صورة تيس كما دلت على ذلك الآثار.

٢ - الحيوانات: كانوا يعبدون منها الثور وهو في المنزلة الأولى من الأهمية، والكبش، وهو في الدرجة الثانية، ويعبدون سواهما الأفعى والبوم والحمام والطاووس والسلحفاة والضفدع والقرد والهر.

٣ - الروحانيات: كانوا يعتقدون وجود ارواح كالجن في بعض العناصر الطبيعية كالعيون والأحجار والأشجار فيعبدونها ويتوسلون بها إلى نيل ما عجزت عنه قواهم البشرية.

قال البكري في خاتمة كتابه المغرب: "وبنو ورسيفان من البربر إذا أرادوا الحرب تقربوا بذبح بقرة سوداء للشماريخ. وهي عندهم الشياطين- ويقولون: هذا ذبح للشماريخ، ويفتحون اوعيتهم في تلك الليلة من الطعام والعلف. فلا يكون لها وكاء[١] ولا سداد، ويقولون: هذا طعام وعلف للشماريخ، فإذا غدوا للقتال توقفوا حتى يروا زوابع الريح. فيقولون قد جاءت الشماريخ أولياؤكم لنصرتكم، فيحملون عند ذلك، فينتصرون بزعمهم ويقولون: إن ذاك لا يخطيهم"[٢].

ونظير ما ذكره البكري ما هو موجود اليوم من أن الناس إذا عز عليهم المطر في فصلي الربيع والخريف لم يستسقوا الاستسقاء الشرعي بل يتقربون بذبح البقر أو غيره من الأنعام لقبر من القبور التي يعتقدون صلاح صاحبها بالسماع من أسلافهم العوام، ويطعمون الطعام. ويسمون ذلك "زردة سيدي

---

[١] أي رباط وخيط يربطون به.

[٢] أي لا يفوّت عنهم النصر.

**فلان ... " فإذا أغاثهم الله بالمطر نسبوا ذلك لبركة ذلك السيد وأنه رضي عنهم، وكثير من عقائد الأقدمين الوثنيين لم تزل رائجة بين الجهال البسطاء وعوام المتعلمين، وإنما صبغت بلون آخر[1].**

[1] هكذا يقول مبارك الميلي وأكثر من الأمثلة في كتابه الفذ النافع الجيد ألا وهو كتاب "الشرك ومظاهره" وهذا كتاب نافع جدا، وإن شاء الله تكون فيه مدارسة، ونقرأه بإذن الله تعالى، فذكر هذا الذي يقع في الناس، ولا يزال إلى الآن، حتى في هذه المنطقة وهذا البلد، لا يزالون يفعلون في هذه البلدة، أو بنواحيها وإن كان بداخلها الحمد لله الناس لا يعتقدون هذا، وسلمهم الله من هذه الضلالات والكفر والشركيات، ولكن الحواف يوجد ما يوجد من مثل هذا، وقبل ثلاث أو أربع سنوات، فعلوا مثل هذا، وكان قد قل المطر ففعلوا مثل هذا وذبحوا وأطعموا في قبر من القبور، زردة سيدي فلان -لا أذكر اسمه سميان أو غيّاث أو غيره- وبعد يوم أو يومين أو في نفس الليلة رعدت السماء، ونزل المطر، فقالوا: بقدرة وقوة سيدي فلان، وهذا هو عين الكفر وعين الشرك الذي كان عليه الناس قديما، وهذا الشرك الذي عمّ وطمّ بالأرض هو الذي من أجله بعث الله نبيه محمد ﷺ، فهذه السلسلة النبوية أو السلسلة الرسالية، يبعث الله ﷻ بين فينة وأخرى وزمن وآخر نبيا أو رسولا، هذه البعثة من أجل تذكير الناس بأصل العبادة وهو التوحيد، أو يبعثهم لإرجاع أصل العبادة، فتوارد الأنبياء على الأمم من أول رسول بعد الاختلاف نوح ﷺ إلى آخرهم وهو نبينا محمد ﷺ، فلما أظلمت الأرض بالشرك وعمّ الكفر في الأرض، أرسل الله نبيه محمدا ﷺ، فأعاد وأوقد نور التوحيد، وأضاءت الأرض بذلك.

ولا شك ولا ريب بقيت بقايا من أهل الكفر والشرك على هذا الضلال من ها هنا وها هنا، ولكن الذي يؤسف له أن يعود لهذا الشرك أهل الإسلام بل ويرونه من الإسلام، ومن العادات، أو من التقاليد، وهذا والله مما يؤسف له جدا، أن يكون من هو في مستوى ومنصب معين، الأصل أن يكون يأخذ بأيدي الناس إلى الخير، لكن إذا بلغ به الجهل أن لا يفرّق بين ما هو من الدين، وما هو ليس من الدين، وأن يخلط بين العادات والتقاليد، وبين دين الله عز وجل، فلا يعرف هذا من ذا، ولا ذاك من هذا، فهذا لمن أعجب العجب، والله المستعان.

وإذا كان أعمى يقود أعور فلا ندري أين سينتهيان.

فإذن الواجب أن يفرّق وأن يبيّن هذا الأمر فمثل هذه الأفعال من الشرك، ومن الكفر، والعجب أنك إذا دعوتهم إلى التوحيد وإلى الشريعة قالوا: أنت تحب أن تردنا إلى ١٤ قرن للخلف!! وهم ردونا إلى العصر الأول، هذا الفعل ذبح البقر والتقرب بها إلى الآلهة، وانتظار منها الخير، هذا كان قبل ملايين السنين، فهم أرادوا أن يرجعونا إلى تلك الملايين، فإن قالوا: الرجوع إلى أقدم شيء هو خير، الرجوع إلى الأمر العتيق، قلنا: نرجع إلى آدم عليه ﷺ وقد نزل بالتوحيد، أو إلى آخر أبنائه من الرسل والأنبياء محمد ﷺ وقد جاء بالتوحيد.

فهذا الفعل مما يجب على المسلم أن يخبر ويعلم الناس، قد يكون في أوساطنا بين أهالينا وأقاربنا وجيراننا من يعتقد مثل هذا، وأنت تكلمه صباح مساء، وربما تصحبه ويصحبك، وتأتيان المسجد، وتخرجان، وتتحدثان، لا تعرف منه

إن عبادة الكواكب والحيوانات والروحانيات أمر شائع بين الأمم المتقدمة، وقدر مشترك بين الوثنيين، وإنما يختلفون في تفاصيل المعبودات وكيفيات العبادات. ونحن نجهل- لفقدان المصادر التاريخية- نظام ديانة البربر وشعائر عبادتهم على وجه التفصيل[1]، ولكن من المحقق أنهم كانوا- كغيرهم- يتقربون إلى آلهتهم بإلقاء أنفسهم في النار.

والوطن البربري- كما قدمنا- معمور بأمم مختلفة ولغته مزيجة من لهجات، فديانته، كذلك مركبة من عدة ديانات، ومنها ما يشبه ديانة قدماء المصريين، ومنها ما أخذوه عن الفينيقيين ومنها ما نقلوه عن الرومان وكلها ديانات وثنية. وكانت بينهم طائفة إسرائيلية غير وثنية، ولكن نظام معابدها- كما قدمنا- مخالف لنظام يهود المشرق.

ومع انفعال البربر بديانات الأمم المجاورة لهم فهم يحافظون على روح عقائدهم الأولى ولا يرفضون منها إلا قليلا، ولا يعرف التاريخ دينا غيَّر العقائد وابتعد بها عن الوثنية واعتمد على العقل مثل الدين الإسلامي ومع ذلك لم يطهر البربر من كل ما كانوا عليه، ولكن ما دامت مصادر الدين باقية ومنابعه صافية فليس الذنب ذنب العامة، بل الوزر كل الوزر على كاهل العلماء الجبناء والمدعين للصلاح من الجهلاء[2].

---

ما يكنه في نفسه من هذا المعتقد، لكن إذا جاء رأيته من أول المندفعين والمنفقين والساعين لإثرائه، وإذكاء ناره والسعي في ذلك، وهو محض الكفر ومحض الشرك عياذا بالله تعالى.

وقد أحيي مثل هذا في هذا العالم لمّا احتفلوا بالعيد الذي يسمونه بما يسمونه، وقع في بعض المدارس إحياء لطقوس كانت من الزمن القديم وسموا في ذلك إله الماء، وإله المطر، وإله كذا، وتماثيل نصبوها، ويطوفون حولها ويفعلون ويفعلون ..الخ، والعجب أنه إذا دعوناهم إلى الالتزام بأحكام الشريعة سموها ظلامية، وسموها رجعية، في حين أنها تعاليم جاء بها نبينا ﷺ الذي هم يشهدون له بالرسالة من عند الله ﷻ، وإذا أرجعونا إلى هذا الضلال وهذا الكفر الصريح، الذي لا يختلف فيه اثنان وإنما ينتطح فيه العنزان، يرون أن ذلك لا شيء فيه، ولا حرج في ذلك والله المستعان.

[1] هذا لا نعرفه، ما كنوا عليه من القديم، لأنه لا يوجد مراجع ومصادر تدلنا على ذلك.

[2] يعني هذا مما كان يدين به البربر، ومع كون الإسلام أتاهم وتأثروا به وغير فيهم ما غير، لكن كانت هناك بقايا لأشياء يدينون بها، وليس اللوم عليهم، وإنما اللوم على الذين لا يدعون إلى توحيد الله ﷻ اللوم على العلماء الجبناء،

---

المختفين، الذين لا يصدعون بالحق، ولا يدعون إلى التوحيد الخالص، واللوم على المدّعين للصلاح، وهم جهال، يدعون الصلاح ويقعون في الشركيات، ويقرون الناس على ذلك، كالصوفية باختلاف أصنافهم، وطرقهم.

إذن هذا الباب الثالث، لخص لنا فيه المؤلف الإمام العلامة مبارك الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ ما يتعلق بالبربر أول قدومهم إلى هذه الأرض.

## [الباب الثالث في ذكر الفينيقيين[1]].

### [تمهيد]

الفينيقيون قوم منسوبون إلى وطنهم فينيقيا، وهي قطعة من الشام ضيقة مستطيلة على سيف البحر، يفصلها عن بقية الشام جبل لبنان، وهم أمة قليلة جدا ولكنها عملت في التاريخ القديم أعمالا جليلة جدا.

كانوا بطبيعة وطنهم بحريين تجاريين، فربطوا بين الأمم القديمة مواصلات ونشروا بذلك حضارات. وهم أول أمة أجنبية دخلت مصر جاءوها قِبل اليونان وكانت لهم حارة معروفة باسمهم في مدينة منفيس[2] قاعدة الأُسر العشر الأولى من الفراعنة، وعقدوا مع أولئك الفراعنة اتفاقا تجاريا يسمح لهم بنقل البضائع من مصر للاتجار بها في جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه ليبية واسبانيا، فأصبحوا يشقون بمراكبهم هذا البحر وينقلون إلى من حوله حضارات المشرق وهم أول من أنقذ الأمم الأوروبية من الهمجية[3].

كانت لهم بفينيقيا مراس[4] عظيمة أشتهرت بالبحرية والتجارة منها عراد وبيبلوس وبيروت وصيدا وصور[5]، وأسسو باسبانيا وليبية مراكز صارت تعظم كلما نقص عمران مدن فينيقيا بمزاحمة الأمم لهم هنالك ومحاربة الملوك إياهم.

---

[1] الآن سيذكر الفينيقيين، وهم من ولد كنعان فهم حاميون كما سيأتي، سيذكر أصلهم وتواجدهم، وكيف كان نزولهم بهذه الأرض، وكيف هي علاقتهم بالبربر، وغير ذلك.

[2] وتسمى (منفيش).

[3] سكناهم وعملهم التجاري، ركوبهم البحر يسر لهم معرفة الكثير من الحضارات، فينقلون ما ينتجونه في بلدهم إلى بلد آخر، فكان لهم أثر كبير في نقل التجارات، وأيضا التعريف بالحضارات من منطقة لأخرى، ولهم أثر في إنقاذ أوروبا من الهمجية التي كانت تعيشها.

[4] جمع مرسى.

[5] هذه مناطق عريق ولا يزال لها منزلتها إلى الآن.

وجد الفينيقيون بليبية ضالتهم المنشودة من البحرية والتجارة والاشتغال بوسائل العمران في سلم وأمن، فظلوا على ذلك حتى دخلوا مع اليونان في الحرب على صقلية، ثم الرومان بصقلية وأفريقية، وانتهت تلك الحروب المشؤومة بتخريب عاصمتهم قرطاجنة وذهاب ملكهم وتلاشي أمتهم. فذابوا في غيرهم وعفا رسمهم ولم يبق منهم إلا اسمهم وجلائل أعمالهم التي كلها حسنات للبشرية عامة، وللبربر خاصة، وليس بهم من عيب سوى عفتهم عن الدماء وبعد طبيعتهم عن الحروب[1].

[1] لعلنا نكتفي بهذا القدر، والله تعالى أعلم.